دوفصلنامه علمی ـ تخصصی گفتمان وحی
سال شانزدهم/ شماره ۲۷/ بهار و تابستان ۱۴۰۴

Bi-quarterly Journal Specialized Guftman-e Wahy
twelfth, Year 16 ,No 27, Spring & Summer 2025

الأسرار البلاغية و التربوية لأسلوب الحذف فی القرآن الكريم

(قصة موسى و يوسف عليهما السلام أنموذجا)

□ سيد مهدی الحسينی *
□ عدنان الزلزلی **

الملخص

مما لا شک فيه أن ما يصدر من الله فهو الحكمة، فجميع الآيات التی وقع بها الحذف سواء الحذف البلاغی أو النحوی تنطوی على أسرار بلاغية وتربوية لا يتحسّسها إلا من كان له باع طويل فی العلم. والبحث هذا يغوص فی البلاغة والتربية وعلاقتهما بأسلوب الحذف القرآنی من خلال الإشارة إلى قصة موسى و يوسف عليهما السلام كنموذج. انبثقت أهمية البحث من حداثة الموضوع لندرة تزاوج الدراسات بين الأسرار البلاغية والتربوية وبالذات من زاوية الحذف فی القرآن الكريم. أبانت الدراسة أن الإعجاز البيانی بالإضافة لجمال الصورة يمكن عن طريق الحذف، أن يحصل السامع مراده ويتحقّق للمتكلّم غرضه، فتهذب النفس وتعدها تربوياً ليوم الجزاء والحساب وبذلک تستقيم تلک النفس لاستيعابها الموعظة والنصيحة والحكمة المتأتّية من القول المؤثر. والنتائج التی توصلنا إليها هی: أن القرآن الكريم كتاب البلاغة الأول، يصل إلى المعنى بأقصر لفظ و أن علماء اللغة يشترطون فی الحذف دليلاً يدل عليه دون التباس. إن الحذف لا يكون اعتباطاً، وإنما لغرض من الأغراض البلاغية والأسرار البيانية والتربوية.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، الإعجاز البيانی، الحذف القرآنی، قصة موسى عليه السلام، قصة يوسف عليه السلام.

---

*. دكتوراه في التفسير و علوم القرآن، جامعة المصطفى العالمية، قم المقدسة، إيران (mah_hoseini21@yahoo.com).

**. طالب دكتوراه، كلية العلوم والمعارف القرآنية، جامعة الكوفة، النجف الأشـرف، العراق (الكاتب المسـؤول): (aaammmir70@gmail.com).

المقدمة

إن القرآن الكريم معجزة خالدة ووجوه إعجازه مختلفة وتشمل جميع النواحی ومن تلک النواحی هو الإعجاز البيانی والأدبی، ومن الأبحاث المهمة أيضا فی الإعجاز البيانی مسألة الحذف من الآيات. ومن فوائد الحذف بلاغياً إظهار العظمة أو الاحتقار وكذا إبهام العقول وشدها نحو مسالة ما وغيرها. وبما أنّ كلام الله جاء من الحق إلى الخلق فقد خاطب النفوس البشرية بارقى أنواع الأساليب التربوية ليزكيها من الادران انطلاقا من تهافت القلوب نحو ما يتوافق وطبيعة فطرتها حباً وانقياداً فجاء إسلوب الحذف القرانی ليستخرج نوازع الخير سمواً ورفعةً. وقد جاء استخلاص الأسرار التربوية للحذف القرآنی تارة من خلال وقوع ذلک الحذف فی القصص القرآنی كقصة موسى و يوسف عليهما السلام أو الترغيب والترهيب أو العبرة والموعظة أو العبادة وغير ذلک وكلها تصب لتصحيح مسار البشر باسلوب تربوی عالی المضامين.

إن عملية التربية من المسائل ذات الأهمية الكبيرة المتعلقة بالإنسان وتنميته وإصلاحه نحو الأفضل والأصوب، ومنذ فجر التاريخ ظهر فيها الكثير من الفلسفات والتشريعات السماوية والوضعية، والقرآن الكريم أنزله سبحانه وتعالى لتزكية الناس وتعليمهم، وعمليتا التزكية والتعليم من المسائل التربوية المحورية. وكان الإيجاز بالحذف إشراقاً فی التعبير، يدلُّ على أن هذا القرآن تنزيل من حكيم حميد سبحانه وتعالى. اضف إلى ذلک يعمل الحذف على تحريک العقول فتقتنص فرائد المعنى، وتستمتع بجمال العبارة، وتذكرنا بالقاعدة الذهبية«خير الكلام ما قلَّ ودلَّ». ومن الجوانب التربوية المستفادة من القرآن الكريم مخاطبة العقل وإيقاظ العاطفة وإحياء الضمير، فينتقل من المحسوس إلى المعقول، وتقام الحجج وتوضح البراهينليكون التصديق الجازم بأحقية ما يوجه إليه، ثم تكون المطالبة بما يترتب على هذا الحق الموجه من قبل صاحب النعمة العظمى والفضل الأكبر. وتنويع أساليب الخطاب، وضرب الأمثال بالماضی والحاضر، والتطواف فی جوانب النفس البشرية والظواهر الكونية، وتحريک الذهن وشد البصر، لينتقل الإنسان من الفكر إلى الحس، ومن النظرى إلى العملى، حتى تتجلى له الحقيقة ويتوفر عنده اليقين، فيميز الحق من الباطل، والطيب من الخبيث، فيستمسک بما ينفعه ويناً عما يضره(الدكتور محمد عبدالله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة فی القرآن، ص: ۷۷۱-۷۷۳).

أنّ أهمية هذا البحث انبثقت من حداثة الموضوع وحيث لم تقم دراسات تمزج بين الأسرار البلاغية والتربوية من زاوية أسلوب الحذف فى القرآن الكريم. وتكمن أهميته أيضا بأنّها تسمح للباحث بالاطلاع على أمهات الكتب القرآنية واللغوية لكى يصل إلى إجابة مقنعة عن اشكاليته المتمثّلة بالسّؤال التالى ماهى الأسرار البلاغية والتربوية لاسلوب الحذف فى القرآن الكريم؟ فهل جائت بقصد التخفيف أو بقصد الإبهام على السامع أو لتحفيز ذهن السامع أو المتلقى؟ فالحذف دون الإخلال بالمعنى هو السّلوک القويم لمستخدم اللغة لا سيما بقدرة ذلک المستخدم لفهم القرينة الدّالة على الحذف. وانطلاقا من ذلک، يريد الباحثون أنّ يدرسوا هذا الموضوع من منظور بلاغى وتربوى ليكون تاكيداً أخر على أهمية الموضوع.

يكون المنهج فى هذا البحث هو الوصفى والتحليلى الذى يعتمد على عرض النصوص القرآنية وأخذ دلالات اللفظ والمعنى منها. علما هناک بعض الدراسات السابقة قد تم الإطلاع عليها، منها:

١ فيود، بسيونى، الحذف عند البلاغيين فى ضوء أساليب القرآن الكريم، رسالة التخصُّص (الماجستير)، كلية اللغة العربية، جامعة القاهرة، ١٩٨٠م.

٢- أشتية، حفظى حافظ محمد، رسالة دكتوراه عنوانها: ظاهرة الحذف فى القرآن الكريم، بإشراف محمد بركات حمدى أبو على. عمان - الجامعة الأردنية - كلية الدراسات العليا، ١٩٩٥.

٣- بدوى، سلوى عبدالفتاح حسن، أساليب حذف المضاف فى القرآن الكريم، (رسالة ماجستير)، جامعة الأزهر القاهرة ١٩٩٩م.

٤- بوزيانى، على، دراسة أسلوبية لظاهرة الحذف فى القرآن الكريم من خلال كتب التفسير، رسالة ماجستير، ملتقى أهل التفسير، الموقع: www.islamport.com

فأما هذه الدراسة فان الجوانب البلاغية الظاهرية المألوفة والمطروقة عند الكثير قد تمّ التّجنّب عنها وأتبعنا ما استسرّ منها وما خفى بل أضيف ما لم يبحث به وهو الأسرار التربوية عند استخدام أسلوب الحذف فى كلام الله تعالى. وبعد ذكر الغرض البلاغى يردفه ذكر الغرض التربوى أو النفسى، ومن ثمّ يصير بحثاً مستقلاً مبدعاً فى هذا المجال.

تعريف المفاهيم

أسلوب الحذف ظاهرة لغوية يشترک فيه جميع اللغات، لا سيما اللغة العربية، لأنه من خصائصها الميل إلى الإيجاز والاختصار، فالحذف هو أحد نوعى الإيجاز وهما: القص والحذف وقد نال اهتماما كبيراً فى الكتب التراثية العربية، وقبل الغوص فى خبايا هذا الفن العجيب، يجب أن نقف عند مفهومه اللغوى والاصطلاحى.

الحذف لغة

الحذف لفظ مشتق مأخوذ من مادة (ح ذ ف) مصدر الفعل الثلاثى " ح ذ ف" على وزن "فَ ع ل"ومن بين المعاجم اللّغوية التى تناولت الحذف نذكر المعاجم التالية:

أ- لسان العرب: "حذف الشيء يحذفُه حذفًا: قطعه من طرفِه، والحجام يحذف الشعر من ذلک والحذافة ما حذف من الشيء فَطُرح. قال أمرؤ القيس: لها جبهةٌ كسراة المِجَنُ حَذَفَهُ الصانعُ المقتدرُ ؛ وهذا البيت أنشده الجوهرى على قوله "حذفَه تحذيفا أى هيأه وصنعهُ وقال الشاعر يصف فرسا "(ابن منظور، لسان العرب، ذيل: ح ذ ف)؛ وحذفه بالعصا وبالسيف، يحذفه ويحذفه ضربه أو رماه بها، قال الأزهرى وقد رأيت رعيان العرب يحذفون الأرانب بعصيهم إذا عدت ودرمت بين أيديهم، فربما أصابت العصا قوائمها فيصدونها ويذبحونها"(المصدر نفسه).

ب- **أساس البلاغة:** قال الزمخشرى «حذف: حذف ذنب فرسه إذا قطع طرفه، وفرسٌ محذوف الذنب وزرف محذوف مقطوع القوائم، وحذف رأسه بالسيف: ضربه فقطع منه قطعة، وحذف الأرنب بالعصا: رماه بها، ويقال الحذف بالعصا، والحذف بالحصى»(الزمخشرى،أساس البلاغة،ذيل: ح ذ ف). ومن المجاز: "حذفه بجائزة وصله بها وما فى رحله حذافةٌ أى شيء يسير من طعام وغيره، وهى ما حذف وشائظ الأديم وما أشبهه، وتقول أكل فما أبقى حذافة وشرب فما ترک شفافة"(المصدر نفسه).

الحذف اصطلاحاً

بعد أن تمّ التّطرّق إلى تحديد اللغوى للحذف فينبغى تحديد مفهومه الاصطلاحى:

ا السكاكى(٦٢٦ه) فإنه لم يعطى السكاكى مفهوماً واضحاً للحذف وإنما تحدث عن الإيجاز فقال: «هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط»(السكاكى "**مفتاح العلوم**" ص: ٢٧٧). وأعطى أمثلة من السور القرآنية " والعلم فى الإيجاز قوله علت كلمته **فِى الْقِصَاصِ حَياةٌ**)(سورة البقرة: الآية ١٧٩) وإصابته المجز بفضله على ما كان عندهم أوجز كلام فى هذا المعنى..."(السكاكى، المصدر السابق، ص: ٢٧٨).

وفى قوله تعالى:(**فَقُلنَا أضرب بّعصاك ٱلحجر فانفجرت**)(سورة البقرة: الآية ٦٠)، قال السكاكى فى هذه الآية «مفيدهُ: فضرب فانفجرت مثله: قم يدعوك، بدل: قم فإنه يدعوك وإنه فن من البلاغة لطيف المسلك»(السكاكى، المصدر السابق)

هنا نستنتج رغم أن السكاكى لم يتحدّث عن الحذف بصريح العبارة وإنما أشار إليه فى كثير من المواطن مثلا فى: «مفيده فضرب فانفجر وحين قال قم يدعوك بدلاً من قم فإنه يدعوك» ففى الجملة الأولى حذف الفعل وفى الجملة الثانية حذف "إن واسمها"

ب- الخطيب القزوينى ٧٣٩ه لم يعطى القزوينى تعريفا دقيقا للحذف، وإنّما اكتف بذكره على أنّه هو ضرب ثان من ضروب الإيجاز إذ يقول: «إيجاز الحذف هو ما يكون بحذف أو المحذوف إما جزء من الجملة أو جملة أو أكثر من جملة(الخطيب جلال الدين، القزوينى، "**الإيضاح فى علوم البلاغة**" ص: ١٨٨). كما أنه أعطى أمثلة عن الحذف الذى يقع فى تركيب الجملة كحذف المضاف أو الصفة أو الموصوف أو جواب الشرط حيث قال : «أما مضاف، كقوله تعالى: **(وأسأل ٱلقرية**)(سورة يوسف: الآية ٨٢.) أى أهلها، وكقوله تعالى **حرمت علَيكم ٱلميتَةُ**)(سورة المائدة: الآية ٣) أى: تناولها، وهنا حذف المضاف؛ قال الله تعالى **(يخافُون ربّهُم)**(سورة النحل: الآية ٥٠) "أى يخافون عذاب ربهم حذف المضاف» (القزوينى، المصدر السابق).

الإعجاز البيانى

الإعجاز لغةً

قال الإمام الجوهرى " العجز: الضعف، تقول: عجزت عن كذا أعجز بالكسر عجزاً ومعجزة ومعجزا بالفتح على القياس، وعن الحديث (لا تلبثوا بدار المعجزة)، أى لا تقيموا بلدة يعجزون

فیها علی الاکتساب والتعیش والتعجیز والتثبیط، وکذلک إذا نسبته إلی العجز... والمعجزة: واحد معجزات الأنبیاء"(الجوهری "**الصحاح**" تحقیق: أمیل بدیع یعقوب، ذیل: ع ج ز).

وقال الراغب الأصفهانی:" عجز الإنسان مؤخره، وبه شبه مؤخر غیره قال الله تعالی(کأنهم أعجاز نخل منقعر)(سورة القمر: الآیة ۲۰). والعجز أصله التأخر عن الشیء وحصوله عند عجز الأمر، أی مؤخرة، کما ذکر فی الدیر، وصار فی التعاریف إنما للقصور عن نقل الشیء وهو ضد القدرة. قال تعالی(أعجزت أن أکون مثل هذا الغراب)(سورة المائدة: الآیة ۳۱). وأعجزت فلانا فلانا وعجزته وعاجزته، جعلته عاجزا... والعجوز سمیت لعجزها فی کثیر من الأمور، قال تعالی إلا عجوزا فی الغابرین، وقال تعالی(أألد وأنا عجوز)(سورة هود: الآیة ۷۲)(الراغب الأصفهانی، **مفردات ألفاظ القرآن الکریم**، ذیل: ع ج ز).

الإعجاز إصطلاحا

وفی الاصطلاح عرّف الإعجاز بإظهار صدق النّبی(صلی الله علیه وآله وسلم) فی دعوی الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته فی معجزته الخالدة، وهی القرآن وعجز الأجیال بعدهم"(مناع القطان، "**مباحث فی علوم القرآن**" ص : ۲۵۹).

ویعرّف الإستاذ محمد علی الصابونی الإعجاز بالقول" إثبات قول البشر متفرقین ومجتمعین عن الإتیان بمثله، ولیس المقصود من إعجاز القرآن هو تعجیز البشر لذات التعجیز أی تعریفهم بعجزهم عن الإتیان بمثل القرآن، فإن ذلک معلوم لدی کل عاقل، وإنما الغرض هو إظهار أن هذا الکتاب حق أن الرسول الذی جاء به رسول صادق، وهکذا سائر معجزات الأنبیاء الکرام"(محمد علی الصابونی، "**التبیان فی علوم القرآن**" ص: ۸۹-۹۰)

البیان

البیان لغةً

هو الإبانة والظهور والکشف، وجاء البیان فی معجم مقاییس اللغة بمعنی" بان الشیء وأبان: إذا اتضح وانکشف، وفلان أبین من فلان، أی أوضح کلام منه" (أبو الحسین أحمد بن فارس الرازی،

معجم مقاييس اللغة، ذيل: ب ا ن).

وأورد ابن منظور فى لسان العرب " بان الشيء بيانا: اتضح، فهو بين، وأبان الشيء فهو مبين وأبنته أنا: أى وضحته، واستبان الشيء: ظهر، واستبنته أنا: عرفته، والتبيين: الإيضاح" (ابن منظور، المصدر السابق، ذيل: ب ا ن).

البيان اصطلاحاً

عرّف القزوينى البيان بالقول؛ "هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه، ودلالة اللفظ إما على تمام ما وضع له، أو على جزئه، أو على خارج عنه"(جلال الدين محمد بن عبدالرحمن الخطيب القزوينى، "التلخيص فى علوم البلاغة" ت: عبد الرحمن البرقوقى، ص :٣١).

ويعلق التفتزانى على التعريف السابق بالقول" أن علم البيان ملكة، أو أصول يقتدر بها على إيراد كل معنى واحد، يدخل فى قصد المتكلم، وأرادته بتراكيب يكون بعضها أوضح دلالة عليه من بعض"(سعد الدين بن عمر التفتازانى، " المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم" ترجمة، تحقيق: عبد الحميد هنداوى، ص: ٥٠٦)

معنى الإعجاز البيانى

وفى مطبوعة جامعية موجهة لطلبة الماجستير قالت الدكتورة نادية وزناجى "ورغم كثرة الكتب التى اختارت مصطلح "الإعجاز البيانى" عنوانا لها، فإننا لا نظفر لديها بتعريف واضح يحدد المقصود إلا ما كان من أمر الدكتورة عائشة عبد الرحمان: الإعجاز البيانى هو إثبات عجز الإنس والجن عن قدرتهم بالتحدى على أن يأتوا بمثل القرآن فى بيانه قصَد إظهار صدق الرسول فى دعوته، أما الدكتور الحسين زروق فيقول تعقيباً على هذا التعريف: وكان الأولى حتى تكون العبارة سليمة أن يقول: الإعجاز البيانى هو إثبات عجز الخلق عن الإتيان بمثل القرآن فى بيانه، تصديقا لنبوة محمدﷺ، فالإعجاز البيانى هو تحدى البيان القرآنى للبيانات الأخرى، إثباتا لصحة نبوة سيدنا محمدﷺ (نادية وزناجى، "**الإعجاز البيانى والبلاغى**"ص٨).

وتخلص الدكتورة نادية إلى القول:" أن الإعجاز البيانى أهم من الإعجاز البلاغى لأنه يتضمن ما يربط بالمعجم والنحو والصرف والبلاغة، ومن ثم فإن ليس أبين من نشر إلى أن الإعجاز البيانى

هو الإعجاز الصوتی اللغوی الصرفی النحوی والبلاغی للقرآن الکریم."(المصدر نفسه)

أمثلة علی الإعجاز البیانی

إن من أشهر الأمثلة الواضحة عن الإعجاز القرآنی البیانی هو أنّ کلمات القرآن الکریم نفسها لا یمکن استبدالها أبدًا، ولو وُضعت کلمة مکان أخری لاختلّ المعنی، لأنّ آیات القرآن الکریم مرتبة مثل العقد، ومترابطة مع بعضها البعض، وفیها من السلاسة ما یجعلها فی غایة التنسیق، وهذا النوع من الإعجاز ظاهر فی جمیع سور القرآن الکریم، إذ یقول الباری جل وتعالی: **(أَفَلَا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ کانَ مِنْ عِنْدِ غَیرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فِیهِ اخْتِلَافًا کثِیرًا)**(سورة النساء: الآیة ۸۲). ومن الممکن أن نسوق عشرات الأمثلة علی ذلک إلا إن الباحثین یسوقان مثالا واحدا بارزا خشیة الإطالة :

من بدائع القرآن وغرائبه أن یکرر الحرف الثقیل فی آیة واحدة ولکنه یلطفه بحروف خفیفة بنحو یعلو مجموعه العذوبة والخفة، مکان الثقل والخشونة، ومن هذا النوع قوله سبحانه :

(قیل یا نوح اهبط بسلام منا وبرکاتٍ علیک وعلی أممٍ ممن معک وأممٌ سنمتعهم ثم یمسهم منا عذابٌ ألیم)(سورة هود: الآیة ٤٨)، فقد اجتمعت فیها ثمانیة عشر میماً منشورة بین کلماتها حتی کأن الآیة مشکلة من میمات، ومع هذا فإنک إذ ترتل الآیة الکریمة علی الوجه الذی یرتل به القرآن، لا تحس أن هنا حرفاً ثقیلاً قد تکرر تکراراً غیر مألوف بل تجد الآیة قد توازنت کلماتها فی أعدل صورة وأکملها (المصدر : الإلهیات للشیخ جعفر السبحانی - تلخیص الشیخ علی الربانی الکلبایکانی" **تحلیل الإعجاز البیانی للقرآن**"، تاریخ الزیارة:۲۰۲۱/۳/۱۹،الموقع: http://www.fadak.org/quran/a2.htm).

ویری الباحثان أن الإعجاز لغةً هو کلمة مُشتقة من عَجَزَ، یعْجِزُ، عَجزًا، فهو عاجز، أی بمعنی ضعیف، والمعنی: هو الضعف والقصور عن القیام بالشیء، مع التمکن منه، أمّا البیان فهو توضیح وتفسیر المعنی المطلوب بعبارة أو جملة، دون الحاجة إلی الإسهاب فی الکلام، وبالتالی یمکن تعریف الإعجاز البیانی فی القرآن الکریم بأنّه: الدقة المُتناهیة فی انتقاء وترتیب کلمات وآیات القرآن الکریم مع إظهار جمیع جوانب الفصاحة والبلاغة والبیان فیها بطریقة تُمکن القارئ من فهمها وتدبرها.

التربية فى اللغة

هناك دلالات لغويةً متعددة لكلمة التربية، تركز جميعها على ما ينبغى أن تتضمنه العملية التربوية من أنشطة. منها الإصلاح فربا الشيء أى أصلحه، وفى هذا المعنى نزل قوله تعالى (وَمَا آتَيتُمْ مِنْ رِبًا لِيرْبُوَ فِى أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يرْبُو عِنْدَ اللهِ)(سورة الروم: الآية ٣٠)، ومنها نشأ وترعرع، ومنها كما ذكره ابن منظور" الربانى من الرب، بمعنى التربية، والربانى: الراسخ فى العلم أو الذى يطلب بعلمه وجه الله تعالى"(ابن منظور، لسان العرب، ذيل: ربا).

التربية فى الاصطلاح

لا يبتعد التعريف الاصطلاحى كثيرا عن التعريف اللغوى، قال الراغب الأصفهانى: "الرب فى الأصل التربيه وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام"(أبى القاسم الحسين الراغب الأصفهانى، **مفردات الفاظ القرآن الكريم**، ذيل: ربا).

ويرى الكتّاب أن التربية هى عملية إعداد، وتنشئة، وتوجيه، وإصلاح، وقيادة للإنسان فى مختلف مراحل حياته وأبعاد كيانه وخصوصاً فى المرحلة التى يحتاج فيها الإنسان إلى عملية التنمية والتوجيه والإعداد والإصلاح والتربية الإسلامية هى الأسلوب الأمثل فى التعامل مع الفطرة البشرية توجيهًا مباشًرا بالكلمة، وغير مباشر بالقدوة، وفق منهج خاص.

بلاغة الحذف القرآنى فى أساليب البيان

الحذف هو أحد الأساليب اللغوية، ولا يكون بليغا إلا إذا أمن الإبهام واللبس، فهو نوع من أنواع الإيجاز وفى الإيجاز تتمثل البلاغة، لأنه يفيد إفادات لا يفيدها الذكر فى كثير من الأحيان. فيقع الحذف فى أساليب البيان المختلفة ومنها:

الاستعارة

وأصل الاستعارة أنها قد وقع بها الحذف فإما أن يحذف منها المشبه وهى التى تسمى استعارة تصريحية أو يحذف من الجملة المشبه به وهنا تسمى بالاستعارة المكنية، كقوله تعالى (

وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ)"(سورة التكوير: الآية ۱۸) "فصوّر الخالق عز وجل نسيم وضوء الصباح بأنه عبارة عن نفس تتنفّس، والتنفّس بالطبع هو صفة الكائنات الحية فقط(هاجر محرم، **الفرق بين الاستعارة المكنية والتصريحية بالأمثلة**، الموقع: www.almrsal.com).وقال الزمخشرى" فان قلت ما معنى الصبح قلت إذا الصبح أقبل بإقباله روح ونسيم فجعل ذلک نفسا له على المجاز وقيل تنفّس الصبح"(أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى،**الكشاف عن حقائق الترتيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل**، ج: ۳، ص: ۳۲۵).

التشبيه

هناک الكثير من الآيات القرآنية التى تصنف بلاغيا بأنها من التشبيه قد وقع عليها الحذف وتُدرج هنا آية واحدة لنرى كيف عوملت من مفسرى القرآن. قوله تعالى **(وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ)**(سورة يس: الآية ۳۹). أن الله جلت قدرته شبّه القمر فى نهاية مراحله ومحطّاته بالعرجون القديم، وهو تشبيه ذو مغزى ومعنى عميقان جداً، لأن العرجون القديم لا يشارک القمر فى الشكل فحسب، وإنما هناک معان أخرى. فكذا القمر تراه فى هذه المرحلة تائها فى السماء لا تتعلق به الأبصار ونجد أن كلا من القمر والعرجون كان موضع العناية ومتعلق الأنظار، فالعرجون كان حامل الثمر والنفع، والقمر كان مرسل النور والهداية.

المجاز

انقسم علماء الأمة من الفقهاء والمفسرين واللغويين فى نظرتهم للمجاز فى القرآن فمنهم من قال أن المجاز أخو الكذب وحاشى لله أن يضمن كتابه كذبا وهذه الحجة قد دحضها الزركشى (ت: ۷۹٤ ه) فى تعقيبه على القول بمنع استعمال المجاز القرآنى حيث يقول" وهذا باطل ولو وجب خلو القرآن من المجاز لوجب خلوه من التوكيد والحذف وتثنية القصص وغيره، ولو سقط المجاز من القرآن سقط شطر الحسن"(بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشى، **البرهان فى علوم القرآن**، ج: ۲، ص: ۲۵۵).

أما عبد القاهر الجرجانى فقد كانت له مناقشة مع المنكرين للمجاز القرآنى والمؤيدين

المغالين باستخدام المجاز بالقول " وأقل ما كان ينبغى أن تعرفه الطائفة الأولى، وهم المنكرون للمجاز: أن التنزيل كما لم يقلب اللغة فى أوضاعها المفردة على أصولها، ولم يخرج الألفاظ عن دلالتها، كذلك لم يقضى بتبديل عادات أهلها، ولم ينقلهم عن أساليبهم وطرقهم، ولم يمنعهم ما يتعارفونه من التشبيه والتمثيل والحذف والاتساع. "(الجرجانى، على بن محمد بن على الزين الشريف، المصدر السابق، ص: ٢٠٣).

الكناية

أما الكناية فهى " علم من علوم البلاغة، وهى من أساليب البيان وتعنى اللفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى معه، والكناية هى أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعانى فلا يذكره باللفظ الموضوع له ولكن يجيئ إلى المعنى هو مرادفه، فيومئ به إلى المعنى الأول، ومجمله دليلاً عليه"(الهاشمى، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى "**جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديع**" ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلى ص ٣).

الغرض البيانى للحذف

عندما يقع الحذف على أى حرف أو كلمة أو جملة فلا يكون ذلك الحذف اعتباطياً بل لا بد من وجود غرض بيانى يكمن خلفه وذلك لإزالة طنين الكلام ومزعجات الأسماع من النص وبذا يتم إيراد المعنى الواسع بلفظ قليل يعمل فتصبح العبارة منقاة خالية من التمدد الثقيل.

وفى هذا الصدد يقول الشريف المرتضى(٤٣٦هـ): " إعلم أن من عادة العرب الإيجاز والاختصار والحذف طلبا لتقصير الكلام وإطراح فضوله والاستغناء بقليله عن كثيره ويعدون ذلك فصاحة وبلاغة وفى القرآن من هذه الحذوف والاستغناء بالقليل من الكلام عن الكثير مواضع كثيرة نزلت من الحسن فى أعلى منازله"(الشريف المرتضى، **غرر الفوائد ودرر القلائد أمالى المرتضى**، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج: ٢، ص: ٣٠٩).

وهناك **شواهد قرآنية** نذكرها لتوضيح الغرض البيانى:

يحذف المفعول به فى الاقتصار الذى هو أحد المواضع الهامة إذا كان الفعل متعديا، وذلك

لأن غرض المتكلم هو إثبات الفعل للفاعل من غير ذكر المفعول به ومن ذلک قوله تعالى (**وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَک وَأَبْکی * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيا)** (سورة النجم: الآيتان ٤٣-٤٤) فهذه الأفعال الاربعة حذفت مفاعيلها لأنها غير مقصودة وإنّما اقتصر على إثبات الأفعال للفاعل، فهو أطلق الصفحات ولم يحددها بمفاعيل معينة، والمعنى "هو الذى منه الإضحاک والإبكاء، ومنه الإماتة والإحياء "(أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشى البصرى ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص ۱۷۸)

إيجاز الحذف فى علم المعانى

ويرى الباحثان أن عبد القاهر الجرجانى حين تحدث عن الحذف، لم يهتم كثيرا باستقصاء كل مواضع الحذف، بل وجّه اهتمامه إلى بيان بلاغة الحذف والوظيفة التعبيرية التى يؤدّيها الكلام، واكتفى بالحديث عن حذف المبتدأ وحذف المفعول به وكلاهما من الأسماء، وسنقتصر على بعض أنواع الحذف ليتناسب ومقام الحال.

إن دراسة ظاهرة الإيجاز بالحذف دراسة علمية تعتمد على وصف الظواهر وتحليلها وبيان الأسس التى تقوم عليها وإبراز الدلالات التى تؤديها الأنماط المختلفة لهذا الإيجاز فى النص القرآنى، تستدعى طرح العديد من الأسئلة التى يمكن أن تثار فى هذا المجال كالتساؤل عن ماهية الإيجاز بالحذف؟ وعن أضربه وأسبابه وغاياته وشروطه؟ وعن طبيعة القرائن المساعدة على تقدير المحذوف فى الكلام الموجز؟ ولذلک سيكتفى الباحث بعرض نماذج لضرب واحد من أضرب الإيجاز بالحذف، ألا وهو حذف الإسم.

اولا حذف المبتدا

يعتبر المسند إليه ركنا أساسيا فى الجملة الاسمية وورد حذف المبتدأ أو المسند إليه كثيراً فى كلام العرب وفى عدة مواطن وجوباً وجوازاً، ويقول الجرجانى فى حذفه: " وهذه جملة قد ننكرها حتى تخبر وتدفعها حتى تنظر"(عبد القاهر الجرجانى، **دلائل الإعجاز فى علم المعانى**، ص: ۱۰٦)، وحذف المبتدأ يكون إسما دائما قد ينكر وجوده فى الجملة. ويقول الجرجانى أيضا ومن المواضع التى يطرد فيها حذف المبتدأ القطع والاستئناف"(المصدر نفسه، ص: ۱۰۷) والقطع والاستئناف بمعنى البدء فى الحديث عن شيء معين يذكر بعض خصائصه ثم ترک هذا الشيء

المعين والانتقال إلى شيء آخر متعلق بنفس الموضوع المتحدث عنه.

وقال عنه عبد الفتاح لاشين فى كتابه البعد الفنى للحذف وجماليته" أنهم يبدئون بذكر الرجل، ثم يدعون الكلام الأول، ويستأنفون كلاما آخر وإذا فعلوا ذلك أتوا فى أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ، قال تعالى(**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكرَمُونَ**)(سورة الأنبياء: الآية ٢٦) أى بل هم عباد... وهناك مواضع أخرى فى القطع والاستئناف يكون تقدير الحذف فيها هذا الكلام: قال تعالى(**ذَلِك عيسَى ابْنُ مَرْيمَ قَوْلَ الْحَقِّ**)(سورة مريم: الآية ٣٤) فالتقدير هذا القول قول الحق(عبد القاهر الجرجانى، **دلائل الإعجاز فى علم المعانى**، ص: ١١٨).

ويكثر حذف المبتدأ فى المواضع الآتية:

١ بعد القول. نحو قوله تعالى (**وَيقُولُونَ طَاعَة**)(سورة النساء: الآية ٨١)، والتقدير: أمرنا طاعة، أو: منا طاعة وقوله تعالى(**قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ**)(سورة يوسف: الآية ٤٤) والتقدير: هى أضغاث. قوله تعالى (**وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ**) (سورة الذاريات: الآية ٢٩) والتقدير: أنا عجوز.

٢ يكثر حذفه بعد فاء الجزاء. نحو قوله تعالى(**وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكمْ**)(سورة البقرة: الآية ٢٢) أى: فهم إخوانكم. وقوله تعالى (**وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيرٍ فَلِأَنْفُسِكمْ**)(سورة البقرة: الآية ٨) أى: فهو لأنفسكم. وقوله تعالى (**إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا**)(سورة الإسراء: الآية ٧) أى: فالإساءة لها.

٣ ويكثر حذف المبتدأ بعد ما الخبر صفة له فى المعنى. نحو قوله تعالى (**صُمٌّ بُكمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يرْجِعُونَ**)(سورة البقرة: الآية ١٨) صمٌّ: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم صمٌّ.

٤ ويحذف المبتدأ بعد (بل)، نحو قوله تعالى (**بَلْ عِبَادٌ مُكرَمُونَ**)(سورة الأنبياء: الآية ٢٦)؛ ف(عبادٌ)خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هم عباد.

والإيجاز بحذف المبتدأ " :أما حذفه، فإما: لمجرد الاختصار، والاحتراز عن العبث بناءً على الظاهر، وإما لذلك مع ضيق المقام، وإما: لتخيل أن فى تركه تعويلا على شهادة العقل، وفى ذكره تعويلا على شهادة اللفظ من حيث الظاهر "وعند حذف المبتدأ لابد من قرينة لفظية أو حالية تغنى عن النطق به، لأنّه من العمد "(داود سلمان داود و الآخرون، **الحذف عند الشيخ زكريا الأنصارى فى كتابه إعراب القرآن العظيم**، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، ص٣١٠) وعلة ذلك أن

الحكم لا يمكن أن يتصور إلا بالمسند إليه موصوفًا بالمسند.

ثانياً حذف المفعول به

من بلاغة الحذف فى القرآن: حذف المفعول به. حذف المفعول به كثير وهو على نوعين: أحدهما: ما يحذف لفظاً ويراد معنى وتقديراً. والثانى: أن يجعل بعد الحذف نسيا منسيا كأن جنسه من جنس الأفعال غير المتعدية كما ينسى الفاعل عند بناء الفعل للمفعول.

نذكر من النوع الأول على سبيل المثال قوله تعالى عز وجل(**فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**)(سورة البقرة: الآية ۲۲)، أى وأنتم تعلمون بطلان ذلك. ونذكر من النوع الثانى ما لا يكون المفعول مقصودا أصلا مثل قوله تعالى(**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا**)(سورة البقرة: الاية٢٤) نجد الآية تأتى فى سياق يبرز عظمة الله وقدرته ودعوته الناس أن يفردوه بالعبادة(**يا أَيهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكمُ الَّذِى خَلَقَكمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكمْ لَعَلَّكمْ تَتَّقُونَ * الَّذِى جَعَلَ لَكمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**)(سورة البقرة: الآيتان ۲۱- ۲۲). أما المواطن التى يقصد فيها المفعول، ولكن المقام يقتضى حذفه لدليل حالى أو مقال فإن الأغراض فيها تتعدد ونذكر منها:

١- ما حذف تخفيفا لطول الكلام

٢- ما حذف اختصاراً ودل عليه المقام

٣- ما حذف قصد التعميم

٤- ما حذف احتقاراً أو لشناعة ذكره

٥- ما حذف رعاية للفاصلة

٦- البيان بعد الإبهام

التربية بالقصص القرآنى

وأسلوب القصة من الأساليب التى اعتنى القرآن الكريم بها عناية خاصة؛ لما فيها من عنصر التشويق، وجوانب الموعظة والاعتبار التى تحرك وتهيج مشاعر النفس البشرية نحو الإصلاح

وتقويم الذات. وقد أشار القرآن إلى هذا فى أكثر من آية من ذلک قوله تعالى(**فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يتَفَكرُونَ**)(سورة الأعراف: الآية ١٧٦)، إلى غير ذلک من الآيات التى تبين اعتماد القرآن أسلوب الحوار، وعرض القران الكثير من القصص لاسيما أحوال وحياة الأنبياء.

إن القصص القرآنى يستدعى الحدث التاريخى من أعماق الزمن، ويجمعه من وجوه الأرض؛ ثم يعرضه على الحياة من جديد، فى مقام العبرة والعظة. وبعبارة ثانية: إنه يبعث الحدث التاريخى بعثاً جديداً، ويجعله حيا بعد أن كان ميتاً، بأسلوب شائق، ومضمون فائق .

أن فى إبراز الكلام الواحد فى فنون مختلفة وأساليب كثيرة مما لا يخفى من الفصاحة. وقد عبر عن هذه الالتفاتة القيمة الباقلانى فى كتابه "إعجاز القرآن" بقوله: " قد يتفاوت كلام الناس عند إعادة ذكر القصة الواحدة، تفاوتاً بيناً، ويختلف اختلافاً كثيراً ونظرنا القرآن فيما يعاد ذكره من القصة الواحدة فرأيناه غير مختلف ولا متفاوت بل هو على نهاية البلاغة، وغاية البراعة، فعلمنا بذلک أنه ممالا يقدر عليه البشر"(أبو بكر محمد بن الطيب، **إعجاز القرآن الباقلانى**، ص: ٩١).

وبهذا فهو يريد أن يقول: إن عرض الموضوع الواحد بأساليب مختلفة، من غير أن تتغير معالمه، ودون أن يضعف أسلوب عرضه، هو من الصعب العسير الذى لا يتمكن منه إلا من كان ذا ملكة بيانية، ومقدرة بلاغية.

و من جهة أخرى فأن النفوس جُبلت على حب التنويع والتغيير، والسآمة من المُعاد والمكرر على هيئة وشاكلة واحدة، فراعى الأسلوب القرآنى هذا الجانب فى النفس البشرية، فنوَّع فى أسلوب عرض هذه القصص؛ كى لا تمل النفوس ولا تسأم من التكرار.

وأكد البلاغيون واللغويون على أن الحذف لا يخلّ من الإشارات النفسية العميقة كمثل إشارتهم إلى قوله عزّ من قائل، (حكاية عن سارة زوج سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، (**فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِى صَرَّةٍ فَصَكتْ وجهها وقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ**)(سورة الذاريات: الآية ٢٩).

و يمكن أن نقدر هذا الأمر(أنا عجوز عقيم)؛ حيث أشاروا إلى أنّه قد يحذف المسند إليه عندما يكون هناک ضيق فى الصدر عن إطالة الكلام، وهذا ما حدث لسارة لما سمعت بشارة الملائكة لها بغلام، عجبت من أمرهم، واستبعدت أن تلد بعد بلوغها حد الكبر والعقم.

فالسرد القصصى من أكثر أساليب التربية تأثيرا على النفس وهى مشوقة للصغار والكبار

فيما لو وضعت فى قالب عاطفى مؤثر، والقصة ذات المغزى الأخلاقى قد تخامر أعماق النفس فتحرك الدوافع والفطرة السليمة فى الإنسان وتطرد النزعات الشريرة فيه، وإذا كانت القصة صادرة عن الحكيم السميع البصير الخبير بمواطن النفس قوتها وضعفها، وبما يصلحها وبكيفية إصلاحها أتت ثمارها مزهرة، وحققت الغاية منها ولهذا نجد الاعتماد كثيراً فى القرآن على أسلوب السرد والحكاية القصصية، وكانت قصصه طويلة حينا وقصيرة أحيانا وهى فى كل مرة تقع فى قمة من البلاغة والبيان والفصاحة.

"والقصص القرآنى، يساق للعظة والعبرة، وإعطاء المثلات، لا لمجرد الاستمتاع والقراءة "(الشيخ محمد أبو زهرة، **المعجزة الكبرى القرآن: نزوله كتابته جمعه إعجازه جدله علومه تفسيره حكم الغناء به**، ص: ۱۸۷.

). و بهذا أشار قوله تعالى: **(لَقَدْ كانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِى الْأَلْبَابِ)**(سورة يوسف: الآية ۱۱۱). إن الغاية من ذكر القصص كأسلوب تربوية هو الوقوف على الدروس والعبر المستفادة من القصة وإمكانية تطبيق الإيجابيات وتجنب السلبيات، واتباع الصراط المستقيم وكذلک تدريب الطالب على تأمل المعنى وتحليل النص واستخراج العبر.

وركز الباحث على مواضع الحذف التى تخص قصة سيدنا موسى (عليه السلام) وذلک لضيق المقام ولتشعب موضوع القصص القرآنى.

مواضع الحذف فى قصة سيدنا موسى عليه السلام

حذف الحرف

۱- حرف الجر: ومن هذا الحذف وجدنا التالى: فى قوله تعالى: (**فَادْعُ لَنَا رَبَّک يخْرِجْ لَنَا**)(سورة البقرة: الآية ٦١)؛ معناه اسأله لنا ومتعلق بالدعاء محذوف؛ أى: أدع لنا ربک بأن يخرج....(محمد بن يوسف أبى حيان الأندلسى، **البحر المحيط**، ج: ۱، ص: ٣٩٤.)

۲- حرف النداء: وقد توفر فى ما يلى: قال تعالى (: **وَقال موسى لأَخيهِ هُارون اخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ)**(سورة الأعراف: الآية ١٤٢)؛ حذف حرف النداء، والتقدير: يا هارون، وقد أمره حين أراد المضى للمناجاة، والمغيب فيها أن يكون خليفته فى قومه.

وفى قوله تعالى أيضا (**قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى**)(سورة الأعراف: الآية ١٥٠)، فحذف أيضا حرف النداء والتقدير: يا ابن أم

٣- حذف همزة الاستفهام: " قال الاخفش: (**وَتِلْک نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَى أَنْ عَبَّدْتَ بَنِى إِسْرَائِيلَ**)(سورة الشعراء: الآية ٢٢) قال إن التقدير أو تلک نعمة تمنها على؟(المصدر نفسه، ص: ١٠٧).

٤- حذف الفاء فى العطف كقوله تعالى(**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يأْمُرُكمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**)(سورة البقرة: الآية ٦٧) تقديره فقال اعوذ بالله(المصدر نفسه، ص: ١٠٩).

حذف الكلمة

١- **حذف المسند:** تكرر حذف الفعل فى قصة سيدنا موسى عليه السلام فى عدة مواضع منها: قال تعالى (**فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاک الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَينًا**)(سورة البقرة: الآية ٦٠)، التقدير: فضربه فانفجرت.وقال " يقول تعالى: واذكروا نعمتى عليكم فى إجابتى لنبيكم موسى عليه السلام حين استسقانى لكم وتيسيرى لكم الماء وأرجه لكم من حجر يحمل معكم وتفجيرى الماء لكم منه من ثنتى عشرة عينا لكل سبط من أسباطكم عين قد عرفوها فكلوا من المن والسلوى واشربوا من هذا الماء الذى انبعته لكم بلا سعى منكم ولا كد واعبدوا الذى سخر لكم ذلک"(أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشى البصرى ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج: ١، ص: ٢٧٨).

٢- حذف المسند إليه:

(**قَالَ إِنَّهُ يقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكرٌ عَوَانٌ بَينَ ذَلِک**)(سورة البقرة: الآية ٦٨)، حذف المبتدأ؛ أى: لاهى فارض ولاهى بكر، فقد أبعد لأن الأصل فى الوصف بالفرد(محمد بن يوسف أبى حيان الأندلسى، **البحر المحيط**، ج: ١، ص: ٤١٦).

٣- حذف المضاف:

قال تعالى (**قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا**)(سورة البقرة: الآية ٦٧) حذف المضاف والتقدير: أتتخذنا مكان هزء، أو ذوى هزء، وإجابتهم دليل على سوء عقيدتهم فى نبيهم وتكذيبهم له وهذا ظناً منهم أنه أخبر عن الله بما لم يؤمر به(محمد بن يوسف أبى حيان الأندلسى، **البحر المحيط** ج: ١، ص:

٤١٥)ومن حذف المضاف أيضا قوله تعالى (**قَالَ يا مُوسَى إِنِّى اصْطَفَيتُک عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِى وَبِكَلَامِى**)(سورة الاعراف: الاية١٤٤)، حذف المضاف؛ أى: بسماع كلامى.

الإيجاز البلاغى فى قصة النبى يوسف عليه السلام

لابد أن نشير أولاً إلى أن قصة يوسف عليه السلام جاءت فى السورة عبر مجموعة من المشاهد، التى ترتبط فيما بينها ترابطاً عضوياً، فالانتقال من موقف إلى آخر فى القصة يتم - غالباً - دون رابط سردى، غير أن الارتباط برابط السببية بين المشاهد، يغنى عن السرد المحذوف، ويقوم بدوره، ويخلق فى الوقت ذاته حالة من الحركية التعبيرية.

قضية الرؤيا

(**إِذْ قَالَ يوسُفُ لِأَبِيهِ يا أَبَتِ إِنِّى رَأَيتُ أَحَدَ عَشَرَ كوْكبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيتُهُمْ لِى سَاجِدِينَ**)(سورة يوسف: الآية ۴).

بذكر قضية الرؤيا تبدأ قصة يوسف عليه السلام، هكذا دون تمهيد أو مقدمات غالباً ما تحفل بمثلهما القصص الأدبية، وفى حذفهما هنا، والبدء بذكر قضية الرؤيا إشارة بليغة إلى أنها قضية جوهرية ومحور رئيس فى البناء القصصى، وبذلک يكون البدء بذكرها أدعى إلى لفت النظر إليها، والتركيز عليها، وهذا ما لا يكون لو أنّ ذكرها سبق بتمهيد أو مقدمات!!!

ولكن يأتى قول سيدنا يعقوب(**يا بُنَى لاَ تَقْصُصْ رُؤْياک عَلَى إِخْوَتِک**)(سورة يوسف: الآية ۵)، إذ لم يقل (رؤيتک) ليدلّنا على أن الرؤيا كانت فى المنام، ولو ذكر سيدنا يوسف ذلک لكان فى قول أبيه تكرار لما سبق ذكره، فكان حذف السابق لدلالة ما سيأتى عليه، وهذه سمة من سمات الأسلوب القصصى فى سورة يوسف عليه السلام.

بين يوسف وإخوته

(**قَالَ يا بُنَى لاَ تَقْصُصْ رُؤْياک عَلَى إِخْوَتِک فَيكِيدُواْ لَک كيدًا إِنَّ الشَّيطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**)

بهذا عقّب سيدنا يعقوب على ذِكرِ ابنه رؤياه، وفى قوله هذا ما قد يثير فى نفس يوسف عليه السلام حقداً على إخوته وكراهية لهم، فأراد أبوه أن ينسب أسباب الكيد إلى عداوة الشيطان للإنسان،

وجاء ذلک فى قوله(**إِنَّ الشَّيطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**).

ولعلنا نلاحظ أن تحذير سيدنا يعقوب ابنه يوسف من إخوته إنما جاء مقتضباً موجزاً، إذ لم يأتِ على ذكر الأسباب التى ستدفعهم إلى الكيد له وإظهار العداوة، ليأتى ذكر ذلک كله فيما بعد على لسان إخوة يوسف(**إِذْ قَالُواْ لَيوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلاَلٍ مُّبِينٍ**)(سورة يوسف: الآية٨).

ويجتمع إخوة يوسف للتشاور فى أمره، وإيجاد طريقة للتخلص منه، وتطرح الآراء:

(**اقْتُلُواْ يوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يخْلُ لَكمْ وَجْهُ أَبِيكمْ وَتكونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ *قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيابَةِ الْجُبِّ يلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيارَةِ إِن كنتُمْ فَاعِلِينَ**)(سورة يوسف: الآية١٠).

هنالک ثلاثة آراء إذاً (اقتلوا يوسف- اطرحوه أرضاً- ألقوه فى غيابة الجب) ولا تشير الآية الكريمة إلى الطريقة التى أجمعوا عليها، والقرار الذى توصلوا إليه، بل انتهى الأمر بهم فى هذا المجلس حسب ما جاء فى الآية عند حدود طرح الآراء والتشاور الذى لم يأتِ من بعده اتفاق نهائى أو إجماع مطلق، حسب نص الآية وهذا حذف يثير التساؤل حول ما ينوون فعله، وقد تضاربت آراءهم واختلفت، لنكتشف فيما بعد، القرار الذى اتخذوه أثناء مشاوراتهم وأكدوه قبيل تنفيذه وذلک فى قوله تعالى: (فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يجْعَلُوهُ فِى غَيابَةِ الْجُبِّ) فكلمة (أجمعوا) فى هذا الموضع تدل على أن الأمر لم يكن مجمعاً عليه تماماً حتى ذلک الوقت.

ومن مواطن الحذف ما يتجلى فى عدم ذكر العذر الذى سيعود به إخوة يوسف إلى أبيهم بعد التخلص من أخيهم، إذ لا يعقل أن الأمر لم يكن موضع اهتمام ومدار نقاش خلال مشاوراتهم، لكن الحذف جاء لإثارة الفكر، والمحافظة على عنصر التشويق من جهة، ومنعاً للتكرار من جهة أخرى، ذلک أن ادعاءهم بأن الذئب أكل أخاهم سيأتى فى موقف آخر (عند لقائهم أباهم) وقد عادوا دون أخيهم، ولا شک أن تأجيل ذكر ما اتفقوا عليه إلى هذا الموقف أكثر أهمية من ذكره فى موضع سابق.

إخراج يوسف من البئر

(وَجَاءتْ سَيارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللّهُ عَلِيمٌ بِمَا يعْمَلُونَ)(سورة يوسف: الآية۲۰)

بهذه الآية الكريمة يصف الله تعالى إخراج يوسف من البئر، بواسطة بعض المسافرين من التجار، وقد جاء ذكر إخراج يوسف من البئر موجزاً، مختصراً، لكنه إيجاز مذهل يغنى عن السرد الطويل والشرح المفصّل.

فقد تتالت الأفعال فى الآية الكريمة تتالياً سريعاً، رشيقاً، بالفاء العاطفة التى تفيد ترتيب حدوث الأفعال وتعاقبها دون فارق زمنى يذكر، وهذا معناه أن المسافرين لما صاروا على مقربة من البئر أسرعوا فى إرسال من يجلب لهم الماء (فأرسلوا واردهم)، فأسرع هذا بدوره ملبياً حاجتهم إلى إحضار الماء بسرعة (فأدلى دلوه) وهنا تختفى (الفاء) (قال يا بشرى) ولم يقل الله سبحانه وتعالى (فقال يا بشرى) ذلک أن البشرى تقتضى المفاجأة، وهذا ما يتحقق بحذف الفاء لتأتى العبارة مفاجئة، للدلالة على البشارة.

وقوله تعالى عن المسافرين الذين وجدوا يوسف‌عليه‌السلام: (سيارة) وهى صيغة مبالغة من إسم الفاعل، إنما تدل على أن شأنهم كثرة السير، فهم تجار تعودوا السير فى هذا الطريق، وهم بحكم كثرة سيرهم على هذا الطريق يعرفون البئر، يدل على ذلک سرعة إرسالهم الوارد حال اقترابهم من البئر(دلت على ذلک الفاء العاطفة) دون وجود ما يشير إلى أنهم وجدوا مشقة فى اكتشاف هذا البئر، و ربما يوحى هذا بغير ما ذهب إليه بعض مفسّرى الآية من أن إخوة يوسف ألقوه فى بئر بعيدة عن طريق المارة، وأن هؤلاء السيارة قد ضلوا طريق سفرهم، فوجدوا البئر مصادفة.

فتعودهم السير فى هذا الطريق(إذ هم سيارة) يبعد من الذهن إمكانية أن يضلوا طريقهم. وإسراعهم بإرسال الوارد لا يوحى بإيجادهم البئر مصادفة، بل ربما دلّ على معرفتهم بوجود بئر فى المكان الذى وصلوا إليه.

ويأتى الإيجاز فى صورة من أجمل صوره، وأكثرها إيحاء،فى قوله تعالى (وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً) فأما قوله تعالى:" أسرّوه " أى تعاملوا مع الأمر بسرية، فيعنى أنهم خافوا أمراً ما(ربما خافوا أن يدّعى ملكيته أحد أو غير ذلک مما لا فائدة من تحديده وأما قوله تعالى: " بضاعة " فيدلّ على

أنهم تجّار، وربما كانوا تجار رقيق، أو أن هذا النوع من التجارة كان رائجاً منتشراً فى ذلك الوقت، فاستبشروا بعثورهم على الغلام كونه بضاعة لها قيمتها وأهميتها... فتأمل كم اختزلت عبارة (وأسروه بضاعة) من المعانى والدلالات.

يوسف وامرأة العزيز

ويشتريه رجل من مصر (العزيز) ويوصى زوجته بأن تكرم مثواه، غير أن إمرأة العزيز تجاوزت ذلك - لما بلغ أشده - إلى حدّ العشق والتعلق، فرغبت به وراودته عن نفسه، وغلقت الأبواب، فأبى وأصرت:

(وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيا سَيدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِک سُوَءًا إِلاَّ أَن يسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(سورة يوسف: الآية٢٥).

(وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكاذِبِينَ * وَإِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ)(سورة يوسف: الآية٢٦).

الراجح - والله أعلم - أن إمرأة العزيز ذكرت قميص يوسف لتجعله دليلاً على مقاومتها إياه ومنعه من فعل الفاحشة، ولم تُشر إلى الجهة التى قُدَّ منها، وكأن الشاهد – وهو خارج الباب برفقة العزيز – قد سمع ذلک دون أن يرى يوسف، فرأى أن يجعل القميص دليل إدانة أو براءة.

وهذا من وجوه الحذف البلاغى فى القصة، إذ لم تشر الآية إلى أن إمرأة العزيز ذكرت قدّ القميص كدلالة على براءتها، والآية لم تذكر أيضاً مكان وجود الشاهد فى هذا الموقف، وأنه كان يسمع ما يحدث وهو خارج الباب دون أن يرى... فهذا كله مما توحى به الآية الكريمة بإيجاز موحٍ يحتاج إلى شىء من التأمل والتدبر.

خروج يوسف من السجن

يخرج يوسف عليه السلام من السجن بعد تأويل رؤيا رآها الملک وقد جهل تأويلها أصحاب هذا العلم ممن يحيطون به، ولما أن علم الملک بقصة يوسف مع النسوة، وعلم ببراءته مما اتهم به ...

(فَلَمَّا كلَّمَهُ قَالَ إِنَّک الْيوْمَ لَدَينَا مِكينٌ أَمِينٌ * قَالَ اجْعَلْنِى عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ)(سورة يوسف: الآية ٥٤).

وفی الكلام محذوف أی لما كلمه الملک أعجب بحسن منطقه، واتزانه، فارتقی بعلاقته بيوسف عليه السلام من العلاقة الخاصة، بجعله مقرباً إليه، إلى أن يجعل له مكانة مرموقة ورتبة عالية فی دولته (ياسر محمود الأقرع، **الإيجاز البلاغی فی قصة النبی يوسف، الموقع: https://quran-m.com)**

شواهد قرآنية تربوية للحذف

ما لا شک فيه ولا ريب أن كل كلمة تذكر أو تحذف فی القرآن تكون لها دلالات بلاغية واضحة للقاصی والدانی ومما يجمل تلک البلاغة إنها تتضمن أسلوب حذف له وقع تربوی عميق علی قارئ القرآن؛

قال الله تعالی:(**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى**)(سورة الليل: الآيات٧،٦،٥)، نجد هنا فعلين اثنين، هما:(أعطی واتقی)، والفعل الأول (أعطی) يتطلب مفعولين، والفعل الثانی (اتقی) يتعدی إلى مفعول واحد، غير أن القرآن الكريم حذف كلا الأمرين، أو الكلمتين فی الأولی، والكلمة الواحدة فی الثانية، ولو تأملنا ما حذف من الفعل الأول (أعطی) لراح وذهب كلٌّ منا فی تقديره كل مذهب، فواحد يقول: أعطی الفقير مالاً، والآخر يقول: أعطی ماله المحتاج إليه، وثالث يقول: أعطی الناسَ مسألتَهم، ورابع يقول: أعطی قدرتَه الضعيفَ، وخامس يقول: أعطی دعاءَه المريضَ، وهكذا لا تتناهی هذه التقديرات، فحذفَ القرآنُ الكريمُ ذلک لتذهب نفسُ المعطِی كلَّ ما يمكن أن يعطَی، فتستوعب جميع أعطيات البشر، وما يعتلج، ويعتمل فی صدورهم وذواتهم من أمور، يمكنهم أن يعطوها لمستحقيها، وكأنَّ التقدير: أعطی كل ما فی صدور البشر وقلوبهم وعواطفهم كلَّ مستحِقٍّ للعطاء، فأوجز القرآن الكريم هنا لتضمينه كلَّ هذه الدلالات، وأما الفعل (اتَّقی) فقد حُذِفَ مفعولُه، ويمكن تقديره بأحد التقديرات الآتية :اتقی الله، اتقی الدار الآخرة، اتقی منازل القيامة، اتقی ظلمة القبر، اتقی النار، اتقی الجحيم الأخروی، اتقی غضب الله، اتقی سخط الله، كلُّ ذلک التقدير يدخل فی المتقَی، فترک القرآن الكريم هذا المتقَی؛ لتذهب نفسُ المتقِی فيه كلَّ مذهب فی هذا المتَّقَی، ويستطيع أن يأخذ كل واحد من المسلمين حظَّه منه، بدل أن يحَدَّدَ سلفًا، فتحدَّد جهته، ولا يدخل فيها غيرها(جمال عبد لعزيز أحمد، **من بلاغة الحذف فی القرآن الكريم**، الموقع: http://alwatan.com/details/122634).

وقوله سبحانه :(**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**)(سورة البقرة: الآية ٢٢٨)والمعنى : ولهن من الحقوق على الرجال مثل الذى للرجال عليهن من الحقوق(عثمان قدرى مكانسى، **من أساليب التربية فى القرآن الكريم الإيجاز بالحذف** الموقع:https://islamsyria.com/site/show_articles)

نرى هنا كيف يحد أسلوب الحذف من تعصب الرجل لنفسه وسحق حقوق المرأة فاشعل ومضة فكرية فى باله لينصف نصفه الثانى فيعيشان فى بيئة تربوية صحيحة لأن كل منهما عرف حقوقه وواجباته.

النتيجة

إنّ أهمّ النتائج التى توصّلنا اليها عبارة عن:

١- إن الأسرار البلاغية والتربوية فى أسلوب الحذف القرآنى وقع فى استظهار تخفيفا لعناصر ثلاث؛ الزمن والحدث والنفس.

٢- إن الحذف سمة من سمات اللغة العربية وتتجلى فى حرص اللغة على حذف ما دل على الكينونة المطلقة، أى مجرد الوجود أيا كان موقعه من الجملة بالإضافة إلى حرصها على تجنب التكرار.

٣- إن ما وضعه النحاة من أسس وأصول عامة، لقواعد وقوانين خاصة قد دفعهم إلى تقدير أنواع من المحذوفات على أن يكون مصاحباً لقرائن لفظية أو قرائن حالية تعين على فهم المعنى المراد وتقدير المحذوف.

٤- الأغراض البلاغية التى أفادها الحذف فى القرآن الكريم، كثيرة لا تختصر فيما ذكره علماء البلاغة، بالسياق والمقام هما اللذان يحددان المعنى.

٥- عالج هذا البحث ظاهرة الحذف فى القرآن وأغراضها البلاغية والتربوية والذى اعتبر مزية من مزايا هذه اللغة العربية وسر من أسرارها ومصدر الإعجاز الذى تحدى الله عز وجل إلى يوم القيامة.

المصادر والمراجع

دراز، الدكتور محمد عبدالله، **النبأ العظيم نظرات جديدة فى القرآن**، اعتنى به: عمرو الشرقاوى،ط۱، القاهرة: مركز تفكر للبحوث والدراسات، ۱۳۷۷.

غالى سلمان، د. عمار غالى سلمان، **الدلالة القرآنية فى فكر السيد كمال الحيدرى**، ط۱، بغداد، مؤسسة الإمام الجوادؑ للفكر والثقافة، ۲۰۱۵.

الزركشى، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، **البرهان فى علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط۱، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦ ١٩٥٧.

الزمخشرى، أبى القاسم جار الله محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق الترتيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل**،ط۱، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٤٣٠-٢٠٠٩.

المرتضى، الشريف، **غرر الفوائد ودرر القلائد أمالى المرتضى**، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط۱، القاهرة، دار الفكر العربى، ۱۹۹۸.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشى البصرى، **تفسير القرآن العظيم**، ط۱، بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٠ ٢٠٠٠

الجرجانى، عبدالقاهر، **دلائل الإعجاز فى علم المعانى**، تحقيق: أبو فهر محمود محمد شاكر، ط۳، القاهرة، مطبعة المدنى، ۱۹۹۲ .

داود، سلمان داود و الآخرون، **الحذف عند الشيخ زكريا الأنصارى فى كتابه إعراب القرآن العظيم**، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، العدد: ۱، ۲۰۲۰، ص۳۱۰.

ابن منظور، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، ١٩٦٩.

الأصفهانى، الحسين بن محمد الراغب، **مفردات الراغب الأصفهانى مع ملاحظات العاملى**، ط۱، قم، دار المعروف، ۲۰۱۰.

الباقلانى، أبو بكر محمد بن الطيب، **إعجاز القرآن**، المحقق: السيد أحمد صقر، ط٥، مصر، دار المعارف، ۱۹۹۷.

أبو زهرة، الشيخ محمد، **المعجزة الكبرى القرآن، نزوله كتابته جمعه إعجازه جدله علومه تفسيره حكم الغناء به**، دط، القاهرة، مطبعة دار الفكر العربى، ۱۳۹۰-۱۹۷۰.

أبى حيان الأندلسى، محمد بن يوسف، **البحر المحيط**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ على محمد معوض، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية،١٤٢٢-٢٠٠١.

الهاشمى، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى "**جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديع**" ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلى،(بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٩).

السكاكى "**مفتاح العلوم**" (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٣ه، ط١).

القزوينى، الخطيب جلال الدين" **الإيضاح فى علوم البلاغة**" (بيروت: دار إحياء العلوم، ١٩٩٨).

الجوهرى "**الصحاح**" تحقيق: أميل بديع يعقوب، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩،ط١).

القطان، مناع "**مباحث فى علوم القرآن**" (مصر القاهرة: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢١-٢٠٠٠، ط١) ص : ٢٥٩.

الصابونى، محمد على "**التبيان فى علوم القرآن**" (القاهرة: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٠٠٢) ص: ٨٩-٩٠.

التفتازانى، سعد الدين بن عمر " **المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم**" ترجمة، تحقيق: عبد الحميد هنداوى، (بيروت: دار الكتب العلمية،٢٠٠١، ط١) ص: ٥٠٦.

وزناجى، نادية "**الإعجاز البيانى والبلاغى**"(الجزائر جامعة باتنة: كلية العلوم الإسلامية، ٢٠١٩).

ياسر محمود الأقرع، **الإيجاز البلاغى فى قصة النبى يوسف**، الموقع.https://quran-m الزيارة:(٤ /٢٠٢١/٧).

هاجر محرم، **الفرق بين الاستعارة المكنية والتصريحية بالأمثلة**، الموقع www.almrsal.com، (٢٠٢٠/٨/٧).

جمال عبد العزيز أحمد، **من بلاغة الحذف فى القرآن الكريم**، الموقع :www.alwatan.com/details(٢٠٢٠/٦/٢. (

عثمان قدرى مكانسى، **من أساليب التربية فى القرآن الكريم الإيجاز بالحذف**،الموقع: https://islamsyria.com/site/show_articles/1718تاريخ الزيارة (٦ /٤/ ٢٠٢٠).

الإلهيات للشيخ جعفر السبحانى - تلخيص الشيخ على الربانى الكلبايكانى" **تحليل الإعجاز البيانى للقرآن**"، تاريخ الزيارة:٢٠٢١/٣/١٩،الموقع:http://www.fadak.org/quran/a2.htm